كنيسة مارمرقس
بمصر الجديدة

المسيح القائم فى وسطنا

مع قصص من الحياة

القس
يوحنا باقى

الكتاب: **المسيح القائم فى وسطنا**
المؤلف: القس يوحنا باقى
الناشر: كنيسة مارمرقس مصر الجديدة
الطبعة: الأولى ابريل ٢٠٠٤
المطبعة:
جمع وتصوير: چي سي سنتر مصر الجديدة ٦٣٣٧١٢٤
رقم الإيداع بدار الكتب:
الترقيم الدولى:

حضرة صاحب القداسة والغبطة

الأنبا شنوده الثالث

بابا الأسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

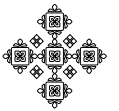

مقدمة

عاش المسيح وسط الجموع، يأكل ويشرب بينهم ويتعامل مع الكل، وارتبط ارتباطاً خاصاً بتلاميذه، وقضى معهم وقتاً طويلاً يعلمهم ويتلمذهم.

وتشرح لنا الأناجيل كيف صلبوه فى الوسط بين لصين، وعندما قام من الأموات ظهر وسط تلاميذه المجتمعين فى العلية.

إنه تجسد ليحيا وسط شعبه، ويشعرهم بوجوده معهم، ويفديهم بصليبه، ويقيمهم فيه ويؤسس كنيسته التى يوجد وسطها إلى الأبد.

إنه يريد أن يوجد فى حياتك اليومية، وفى وسط ضيقاتك وكذلك أفراحك. يريد أن يوجد فى حياتك الروحية وخدمتك، ليطمئنك ويسندك ويُفرح قلبك ويقودك فى طريق الملكوت، حيث تنعم مع كل القديسين بالالتفاف حوله إلى الأبد.

أفسح لإلهك مكاناً ليوجد وسط حياتك، وانظر إليه لتتمتع بوجوده، فلا تطمس مشاغل الحياة وشهوات العالم عينيك. إنه يحبك، ولذته أن يوجد فيك «لذاتى مع بنى آدم» (أم ٨: ٣١).

تمتع فى هذه الأيام المقدسة بمسيحك القائم وسط حياتك، وساعد الآخرين أن يتمتعوا معك، فتفرح بوجوده ويدوم فرحك طوال السنة.

أشكر كل من ساعد فى إخراج هذا العمل إلى النور، وأطلب أن يكون دافع لنمو حياة الكثيرين، خاصة وأنه يستند على قصص من الحياة، لنتعلم منها كيف نحيا مع الله وننمو فى معرفته، بشفاعات أمنا العذراء مريم وقديسنا مارمرقس الرسول، وصلوات قداسة البابا المعظم الأنبا شنوده الثالث، أطال الله حياته وثبته على كرسيه سنيناً عديدة وأزمنة سالمة مديدة.

القس يوحنا باقى

عيد القيامة المجيد

٢٠٠٤/٤/١١

الفصل الأول

المسيح وسط حياتى اليومية

لقد خلقك الله يا أخى لتكون صديقاً له؛ فعندما خلق الله آدم وحواء فى الجنة، عاش معهما وشعرا به، وكانا يسمعان خطواته وتعلق قلباهما به.

وعندما زاغت البشرية كلها عنه، بحث عن أحبائه ليحيا فيهم ومعهم، مثل أخنوخ ونوح وإبراهيم، وكذلك عندما أخرج شعبه من مصر إلى برية سيناء، فرح أن يسكن وسطهم فى خيمة الاجتماع.

إنه يريد أن يدخل يومك ليباركه، ويسير معك كل خطواتك ليحفظك ويلذذك بعشرته. وعلى قدر ما تطلبه يظهر فى حياتك وتشعر به واضحاً ملموساً، فيتهلل قلبك بوجوده معك.

لا تكتف بصلاتك صباحاً وليلاً، ولكن أطلبه ولو بصلاة قصيرة قبل أى عملَ، وأنت تخرج من منزلك أو تدخل سيارتك، وعندما تبدأ عملك أو تفكر فى موضوع يهمك .. إدخله فى كل شئ،

فيسرع إليك وتشعر بيده الحانية تدبر أمورك وتريح قلبك.

وعندما يعطيك أى بركة أشكره، أى بعد إتمام أى عمل مادى أو روحى، سواء انتهاء حديث أو مقابلة أو أى عمل مطلوب منك أو خدمة تقدمها لغيرك؛ فعندما تشكره تزداد عطاياه وظهوره فى حياتك.

إنه لا يريد أن يفارقك لذلك يطلب من كل أولاده «صلوا بلا انقطاع» (١تس ٥: ١٧)، حتى يستجيب لصلاتك فتفرح بسماع صوته ويذهب عنك كل إحساس بالوحدة والعزلة، ولو أهملك كل من حولك.

لماذا تقف وحيداً تحمل هموماً كثيرة، وإلهك مستعد أن يرفعها عنك؟! إنه يناديك مع كل من يعانوا مثلك قائلاً: «تعالوا إلىّ يا جميع المتعبين والثقيلى الأحمال وأنا أريحكم» (مت ١١: ٢٨).

ـ إنتهز كل فرصة لتقرأ قليلاً من الكتاب المقدس وأيضاً بضع صفحات من أى كتاب روحى. ردد أى مزمور أو ترنيمة أو قطعة تسبحة أو لحناً تكون قد حفظته، فهى كلها وسائل تعيد إلهك إلى وسط حياتك. وما أحلى أن توجد مع آبائك وإخوتك الروحيين وأن تدخل إلى كنيستك، حتى فى غير أوقات الصلاة الرسمية

والاجتماعات الروحية، فمجرد الدخول إلى بيت الله ورفع صلاة قصيرة يشعرك بوجوده. إنه يريدك، فليتك تريده لتتمتع به.

عاش هذا الخادم مع زوجته وأولاده فى حياة هادئة، كانت له علاقته بالله فى صلوات وقراءات وخدمة، وكان أيضاً ناجحاً فى عمله، ولكن لم تكن له المشاعر الروحية العميقة، بل كان يُحارب بالفتور الروحى كثيراً.

وفى أحد الاجتماعات الروحية سمع عظة عن الصلاة الدائمة وأهميتها وبعض التداريب الروحية فى رفع القلب إلى الله أثناء اليوم. تأثر جداً بهذه العظة واشتاق أن يطبقها ولو جزئياً فى حياته.

عندما بدأ يردد بعض الصلوات القصيرة أثناء اليوم لاحظ أن رئيسه فى العمل يعامله بجفاء حتى وصل فى أحد الأيام أن وبخه بشدة، مع أنه يقوم بعمله فى أمانة واهتمام.

لم يستسلم وظل يطلب الله، وبعد بضعة أيام حضر القداس الإلهى كعادته، فسمع المزمور الذى يسبق الإنجيل يقول: «كثيرة هى أحزان الصديقين ومن جميعها ينجيهم الرب» (مز ٣٧: ٤٠).

اطمأن قلبه، وواصل صلواته، وفى اليوم التالى فوجئ بالمدير

العام يطلبه فى وجود رئيسه ليشكره على بعض الأعمال التى أتمها، ولاحظ تحسن تدريجى فى معاملة رئيسه له حتى عادت الأمور إلى مجاريها الطبيعية.

واصل الخادم جهاده فى الصلوات الدائمة، ولكن حدث ما لم يكن فى الحسبان، وهو انتقال مفاجئ لوالدته التى كان يحبها جداً.

تأثر قلبه، وحاول أن يعوض فراقها بعاطفة أكبر نحو زوجته، ولكنه للأسف وجدها مشغولة عنه بتربية الأبناء؛ فتقبل هذا من يد الله، وواصل ترديد صلواته.

لم يمضِ إلا شهر واحد، حتى علم من صديقه المقرب إليه جداً أنه ينوى الهجرة، وأن أوراقه جاهزة وهناك فرصة للسفر قريباً بعقد عمل.

زاد تأثره النفسى خاصة بعد سفر هذا الصديق، ولم يجد أمامه إلا زيادة صلواته، ورغم عدم وجود تعزيات واضحة من الله، لكنه لم ييأس.

أخيراً وبعد شهور قليلة، تدخل الله الحنون الذى لا ينسَ تعب أولاده وجهادهم، ففاضت عليه مراحم الله كأنها سيل من الأمطار.

فعندما وقف يصلى، بدأ قلبه يتحرك مع كلمات الأجبية بلذة وفرح، واستنار قلبه عندما قرأ الكتاب المقدس، ففهم معانى جديدة لم تخطر على باله قبلاً حتى أنه أخذ يقرأ الكتاب المقدس بشراهة. وفى القداس الإلهى، تحركت مشاعره حتى أحس كأنه فى السماء ولا يريد أن تنتهى الصلوات، وعندما حضر التسبحة فى الكنيسة وردد التسابيح كعادته، وجد أن قلبه يتهلل بفرح لم يعهده قبلاً، وأكثر من هذا أنه شعر بتشجيعات فى مدح الآخرين وكلامهم الطيب معه، وأيضاً كلمات اللوم والتوبيخ كأنها رسائل شخصية من السماء.

وهكذا شعر أن دنياه هى الله، فهو يراه فى كل مكان يذهب إليه، وكاد يقول للناس «ليتكم تستمروا مشغولين عنى، لأتمتع بإلهى الذى لا يتركنى أبداً».

الفصل الثانى

المسيح وسط ضيقاتى

تألم المسيح بآلامنا، ليشعرنا بقربة منا، فنطمئن له ونلجأ إليه واثقين من إحساسه بنا «إذ قد تألم مجرباً يقدر أن يعين المجربين» (عب ٢ : ١٨).

لم يكتفِ بآلامنا العادية مثل الفقر واحتمال الإهانات، ولكن حمل كل خطايانا على رأسه، وصُلِبَ ومات ليفدينا.

ولا يكتفى المسيح أن يمد يد المعونة لنا فى ضيقاتنا لنحتملها أو يرفعها عنا، بل يشعرنا بوجوده معنا وسط الضيقة كما صلب بين لصين ليعلن أنه وسط المتألمين حتى ولو كانت خطاياهم كبيرة. فقد جاء ليدعُ الخطاة للتوبة، ويهب الشفاء للمرضى.

ويتمجد الله فى استهزائه بالضيقات، عندما يعطينا الراحة والفرح رغم وجود الضيقة، كما فعل مع الثلاثة فتية، فلم يطفئ النار ولكنه تمشى معهم داخلها فسبحوه فرحين. لم يقتل الأسود فى الجب، بل سد أفواهها فلم تؤذِ دانيال. وتعاظم عمله فى بولس

رغم وجود شوكة فى جسده.

لا تنزعج من أى مشكلة تمر بك، فهى بسماح من الله، وهى أيضاً على قدر احتمالك إن التجأت إليه وطلبت معونته.

ثق أيضاً أن التجربة تكون لمنفعتك، فتنمو بها روحياً وتزداد قوة، واطمئن لأن إلهك أقوى من كل التجارب، ويستطيع أن يحميك حتى ولو تأخرت استجابته، ولكنه فى النهاية لن يتركك.

أعلم أن أقوى اختبار لله يكون داخل الضيقة، فلم نسمع عن قديس واحد لم يتألم، بل على قدر احتماله للضيقات يكون له درجة قداسة عالية؛ لذا فقد رفض أولاد الله أن يتركوا الضيقة من أجل كثرة بركاتها، حتى أن بعضها طلبها من الله مثل داود النبى.

كان والده المتقدم فى السن يعمل نجاراً، أما والدته فكانت تهتم بشئون البيت، وترعاه هو وأخته الكبرى التى تعانى من عجز فى رجليها، منعها من الحركة.

تقدم هذا الولد فى دراسته بنجاح، ولكن أثناء دراسته الثانوية، أصيب والده بمرض فى عينيه أفقده نظره، وبالتالى عطله عن عمله، فصارت هذه الأسرة الفقيرة بلا مورد، واضطر الولد أن يذاكر ويعمل ليجد قوتا قليلاً لسد شئ من حاجات الأسرة.

أنهى الولد دراسته الثانوية، والتحق بأحد الأعمال ولكن الإيراد كان ضئيلاً لا يكفى احتياجات الأسرة، فاضطر أن يستدين من أحد جيرانه المسيحيين.

رفع صلوات كثيرة أمام الله، ولكن لم تتحسن عينا الأب، وبحث عن عمل آخر يكمل به احتياجاتهم فلم يجد.

لم ييأس، بل واصل صلواته وأمانته فى العمل وبحثه عن أعمال مكملة.

مرت سنتان، والديون تتراكم وبدأ الجار يضيق من كثرة السلفيات بعد أن كان متعاطفاً لحالة الأسرة الفقيرة، وبدأ يطالب الشاب بتسديد ما عليه، فوعده بالتسديد.

واصل صلواته وخصص ثلاثة أيام صوم وصلاة، وقف فيها أمام صورة المسيح المكلل بالشوك داخل بيته، وبكى كثيراً وعيناه الدامعتان متعلقة فى رجاء بالمسيح الفادى.

فى نهاية الثلاثة أيام، قرع باب البيت جارهم الذى يقرضهم كل شهر مبلغاً لاستكمال معيشتهم، وعندما فتح الشاب الباب ورحب بجارهم، قال له:

«احتملنى ولو فترة قليلة، لأسدد ما علىّ»، لأنه توقع أن يعنفه

لتأخره فى وعوده؛ ولكنه تعجب عندما وجده يبتسم وقال له:

«لقد سُدت كل الدون عنك»، فاندهش الشاب وقال: «كيف؟»، قال له الرجل، وهو ينظر إلى صورة المسيح المكلل بالشوك:

«لقد ظهر لى المسيح فى هذا المنظر الليلة الماضية، وقال لى وهو على صليبه:

«ألم تعلم أنى وفّيت كل ديونك على صليبى، فلماذا تطالب جارك بالديون التى عليه؟»؛ فخجلت من نفسى وقلت له سأتركها، وحينئذٍ ابتسم المسيح لى، ثم قمت من نومى.

سالت دموع الفرح من عينى الشاب، وهو يشكر الله ويشكر جاره، وبعد انصراف الرجل تجمعت الأسرة أمام صورة المسيح فى تسبيح وتمجيد.

بعد أيام اتصل صاحب محل كان الشاب قد طلب منه عملاً، ووافق أن يعمل عنده ليلاً، وبهذا صار لهذه الأسرة ما يكفى قوتهم الضرورى.

إزداد هذا الشاب وأسرته فى علاقتهم بالله، الذى يدبر

احتياجاتهم، وغطت الابتسامات وجوههم، فتلاشت أمامها حالتهم الفقيرة وأمراضهم الكثيرة، وشعروا بالمسيح الساكن وسطهم فى مسكنهم المتواضع يعولهم ويهتم بهم.

مرت الأيام والشاب يبذل جهداً كبيراً كل يوم فى عمله الصباحى والليلى، لكن بقلب نابض بمحبة الله وعلاقة متزايدة بالكنيسة إلى أن حدث ما لم يكن فى الحسبان..

فقد صدمت الشاب سيارة وهو فى طريقه إلى العمل، فسببت له كسوراً فى أحد رجليه.

رفعت الأسرة صلواتها، وحرك الله أصحاب الأعمال التى يعمل بها الشاب، فقاموا بإجراء العمليات الجراحية له والصرف عليها بالكامل لأن أمانته فى العمل كانت محل إعجاب الكل، بل وأكثر من هذا، صرفوا له مرتبه طوال مدة علاجه التى استمرت ستة أشهر.

أثناء هذه الفترة، كان الشاب يصلى مع أسرته وتحاربه أحياناً أفكار الشكوك واليأس، فكان يطردها ويواصل صلواته حتى تماثل للشفاء وعاد إلى عمله.

وفى أحد أيام الشتاء، وقد هطلت الأمطار بغزارة، فجعلت

الشوارع مملوءة بالطين، كان هذا الشاب يسير كعادته فى طريقه إلى عمله ولكن بصعوبة، لأن رجله مازالت ضعيفة، وزادت صعوبة المشى فى هذا اليوم لكثرة الطين الموجود بالشوارع؛ فطلب معونة الله حتى يستطيع الوصول إلى عمله.

وفيما هو سائر، تقدم نحوه شاب وقال له:

«أشعر أنك تعانى من المشى، إلى أين أنت ذاهب؟».

أعلمه الشاب بمكان عمله، فقال له:

«أنا أيضاً ذاهب إلى نفس المكان، اسمح لى أن أساعدك، استند علىّ ولنتمشى معاً».

شكره الشاب واستند عليه وأخذا يتحدثان معاً، فعلم هذا الرفيق بالحادث والعمليات التى حدثت له، فشجعه وقال له:

«الله يرى تعبك وسيكافئك، وهو معك يسندك، ولن يتركك، وسيظل عائلاً لأسرتك ويهتم بهم».

تعزى الشاب كثيراً بهذه الكلمات حتى وصل إلى مكان عمله، وهنا تذكر أنه لم يتعرف على هذا الرفيق، فسأله «ما إسمك؟»

قال له الرفيق: «سأعطيك الكارت الشخصى»، وأعطاه كرتاً

صغيراً وانصرف، وإذ بالشاب يقرأ فى الكارت هذه الكلمات:

«يسوع المسيح مخلصك».

استدار الشاب بسرعة لينظر إليه، فوجد رفيقه قد اختفى، فوقف مذهولاً أمام حب الله الرهيب وهو يتساءل:

«هل أستحق يارب كل هذا المجد أن تظهر لى أنا الضعيف؟!»...

كان لهذا الظهور الإلهى قوة جبارة، دفعت الشاب وأسرته لأعماق جديدة فى محبتهم لله، اكتسحت فى طريقها كل الآلام والأتعاب، فلم تعد لها قيمة، بل كان كلما صار فى طريقه ببطء نتيجة عجزه الجزئى، أو عندما يتعب فى عمله الصباحى والليلى، يذكر كلمات المخلص «الله يرى تعبك، ويسندك ويكافئك»، فيتعزى قلبه ويواصل بنشاط وفرح كل أيام حياته.

الفصل الثالث

المسيح وسط أفراحى

عندما أراد الله خلقة الإنسان، خلق له أولاً العالم كله ليتمتع به «الله الحى الذى يمنحنا كل شئ بغنى للتمتع» (١تى ٦ : ١٧)، وعاش الإنسان فرحاً بالله الساكن فى وسط الجنة وبكل عطاياه له.

وتتضاعف لذة الماديات عند الإنسان، ليس لما فيها فقط من حلاوة، بل بالأكثر لأنها من يد الله الأب الحنون، فأصغر شئ له أكبر القيمة لأنه بركة من الله؛ فكم بالأحرى عطاياه الجزيلة والكثيرة التى تصاحب الإنسان طوال الليل والنهار، مما يدفع الإنسان للشكر الدائم؛ وعندما يشكر تفيض عليه البركات الإلهية بوفرة، فيفرح لأنه يشعر بيد الله التى تعطيه بسخاء.

ولا يقتصر الفرح بالله الساكن وسط حياتنا فى أيام الراحة والسعة، ولكن يظل الفرح أيضاً بل يتعاظم أثناء الضيقات فيظهر بوضوح أكبر وسط المشاكل والمتاعب ليحول الألم إلى فرح، وهكذا يمتد الفرح ليغطى حياة الإنسان كلها ولا يعوقه شئ.

فالتلاميذ تمتعوا بوجود المسيح وسطهم أثناء كرازته، واحتملوا مضايقات الكتبة والفريسيين بسرور لوجود المسيح معهم. وعندما انكسرت قلوبهم بصلبه وموته، أسرع المسيح القائم ليظهر فى وسطهم وهم مجتمعون فى العلية ليعيد إليهم فرحهم.

وظل المسيح يظهر لهم أربعين يوماً، ثم وعدهم ووعدنا أن يظل معنا طوال حياتنا بسكنى روحه القدوس فينا، وبهذا انتزع الحزن من حياتنا بلا رجعة.

ويولد هذا الفرح داخلنا اشتياق للوجود مع الله، فى صلوات وتسابيح وقراءات وتأملات بكثرة لنتذوق حلاوته، لأن لذة الوجود مع الله أحلى بكثير من لذة عطاياه المادية، فنشتاق أن يوجد وسط حياتنا الروحية ليفرحنا بشخصه قبل عطاياه.

ويستمر نمو حبنا لله وتلذذنا بتسبيحه، حتى نشتاق للوجود الدائم معه فى شكل الصلوات الدائمة، لنشتهى فى النهاية الوجود حوله فى الملكوت كما شعر بولس الرسول، وأعلن بوضوح قائلاً: «لى اشتهاء أن أنطلق وأكون مع المسيح ذاك أفضل جداً» (فى ١ : ٢٣)، لأن الخروف القائم فى الوسط كأنه مذبوح (رؤ ٥ : ٦) يجذب انتباه السمائيين، ويملأهم فرحاً لا يُعَبَر عنه، يفيض فى ترانيم لها مذاق جديد لا يعرفه أحد إلا هم .. هذا هو الفرح الكامل.

والفرح بالمسيح يملأ الإنسان رجاءً ونشاطاً وحيوية، فيقوم بأعماله وكل ما يُطلب منه بأمانة، ويتلذذ بالعمل ويسعى نحوه، فيصير منتجاً ومفيداً لنفسه وللمجتمع ولكنيسته، ويثق فى نفسه المتكلة على الله، وتتفجر داخله طموحات كثيرة تزيد سعادته، حتى يشعر أن يومه لا يكفى للتمتع بعمل كل ما يرغبه، بل عمره كله لا يكفيه، فيتقدم من فرح إلى فرح فى جوع وعطش إلى البر وبسعادة لا يُعبر عنها هى عربون الملكوت.

اهتم الوالدان الغنيان بإبنتهما الوحيدة، وسعيا فى تحقيق طلباتها بكل طاقتهما، فنشأت هذه الإبنة مدللة. كانت جميلة المنظر وغنية وعندها كل ما تتمناه أى فتاة فى سنها. وقبل أن يتجاوز عمرها العشرين عاماً، كانت قد تزوجت بأحد رجال الأعمال الأثرياء، والذى يكبرها بخمسة عشر عاماً، ووجدت معه امتداداً لتمتعها بمشتهياتها المادية، وأنجبت منه ولداً وبنتاً.

مرت السنوات وهى تلهو بشهواتها فى الملابس الثمينة، والذهاب إلى النادى، خاصة وأن مساعديها من الخدم حملوا عنها أعباء العناية بالبيت وتربية الأبناء.

عرض عليها زوجها أن تساعده فى أعماله لكنها رفضت، فتركتها بحريتها. كانت علاقتها بالكنيسة ضعيفة جداً، أما زوجها

فكان متزناً، له علاقة طيبة بالكنيسة ومشغول معظم وقته بأعماله التجارية.

بعد مرور السنين، بدأت تشعر بالملل من حياتها رغم توفر كل إمكانيات السعادة المادية لها، وظهر تذمرها على زوجها وأولادها وكل حياتها، مما دفعها للبحث عن السعادة فى علاقات عاطفية مع بعض الرجال الذين تعرفت عليهم فى النادى.

تعمّقت إحدى العلاقات العاطفية مع شخص حتى وصلت إلى أخطاء جسدية، وحينئذٍ أنتبهت إلى نفسها، بل احتقرتها لما وصلت إليه، وقطعت علاقتها بهذا الشخص.

كان لها صديقة مرتبطة بالكنيسة، وقد حاولت دعوتها مرات عديدة لحضور القداسات أو أى اجتماعات روحية، فكانت ترفض، ولكن من الحين للآخر كانت تشكو لصديقتها ما تعانى منه من ملل وأحزان فى حياتها، فتحاول الصديقة أن تظهر لها ما ينقصها وهو علاقتها بالمسيح، سبب الفرح الحقيقى، فكانت تسمعها لأنها صديقتها ولكن بدون اقتناع.

فى أحد الأيام، ذهبت لزيارة صديقتها، ففوجئت بوجود كاهن عندهم، حاولت الانصراف لأنها لا تحب الكهنة ولا الكلام الروحى،

ولكن تحت إلحاح صديقتها دخلت وجلست مع الأسرة حول الكاهن، الذى كان يتكلم عن الفرح بالمسيح وعمله فى حياة أولاده.

شعرت بتجاوب الحاضرين مع كلامه، وأحست بالأكثر أنه يتكلم باقتناع وخبرة كلاماً حياً، فتأثر قلبها، حتى أنها طلبت منه أن تزوره فى الكنيسة وتجلس معه، لأن حب الاستطلاع فى داخلها أثارها لتعرف سر هذا الفرح العميق داخله.

بعد جلستها مع الكاهن، تأثر قلبها أكثر، حتى أنها تشجعت فى تنفيذ كلامه بحضور القداس، ثم اجتماع روحى لتبحث عن هذا الفرح.

مرت الأيام، وبدأت تختبر شيئاً من الراحة من خلال ارتباطها بالأسرار المقدسة، واجتماعات الكنيسة وخدماتها، ولكنها لم تختبر بعد هذا الفرح العميق الذى يتكلم عنه الكاهن وتشعر به صديقتها.

فى أحد الأيام، تأخر إبنها عن ميعاد رجوعه من المدرسة فانشغلت عليه، وأخذت تسأل فى المدرسة وأصدقائه، فلم تصل إليه.

وقفت تصلى كما تعلمت من أب إعترافها، وبعد الصلاة، طرقت الباب إحدى جاراتها المسيحيات وعلمت بمشكلتها،

فطمأنتها أن الله سيعيد الولد، وأعطتها صورة كانت معها للمسيح الراعى الصالح الذى يحمل خروفاً بين يديه.

بعد نصف ساعة عاد الولد، الذى اعتذر لأمه لأنه ذهب لزيارة صديق له ولم يستأذنها، أما هى فقد شعرت باستجابة الراعى الصالح لها.

حرك هذا الأمر مشاعرها نحو الله، فازدات فى صلواتها وقراءاتها.

بعد شهور كانت الأسرة فى طريقها لقضاء أجازتهم بشاليه يملكونه، وفيما هم يسيرون بسيارتهم فى أحد الطرق غير المأهولة، تعطلت السيارة، وحاول الزوج إصلاحها لكنه عجز، بينما وقفت هى تصلى وتطلب من الراعى الصالح أن ينقذهم.

مر بهم رجل، فسألوه عن أى مكان قريب يمكن أن يساعدهم، فقال لهم لا يوجد هنا أى مكان لإصلاح السيارات، ولكن على بعد قريب من هنا يوجد كنيسة، وقد يستطيعون أن يساعدوكم، وانصرف عنهم الرجل.

شعرت الأسرة بطمأنينة لوجود كنيسة فى المكان، إذ أحسوا أن الله قريب منهم، وأسرعوا إليها، فوجدوا حارسها الذى وعدهم أن يحاول إصلاحها لأنه كان يعمل سابقاً فى ورشة لإصلاح

السيارات، ودعاهم لدخول الكنيسة للصلاة.

فوجئت الزوجة عند دخولها الكنيسة بصورة كبيرة للراعى الصالح، مثل التى أعطتها لها جارتها، فأسرعت إليها تطلب إليه وتشكره، ولم يمضِ إلا وقتٌ قليلٌ، حتى استطاع الحارس إصلاح السيارة وذهبوا فى طريقهم.

كان لهذا الحادث أثر كبير فى دفع حياة هذه الإنسانة نحو الله، إذ شعرت أنه راعى حياتها، وأنه معها حيثما تذهب، فزادت علاقتها بالكنيسة بل بدأت تقدم بعض الخدمات فيها، وزوجها ينظر إليها بفرح مما شجعه أن يدعوها مرة أخرى لمشاركته فى أعماله، فرحبت وبدأت تتذوق حلاوة العمل والنشاط، ليس فقط فى بيتها وكنيستها بل أيضاً فى أعمال زوجها.

بدأت تشعر بيد الله القريبة منها فى كل خطواتها، حتى أنها شعرت بحلاوة خاصة جديدة لعطايا الله، وكل ما تمتلكه تمتعت به تمتعاً يختلف تماماً عما كانت تشعر به من لذة أثناء صباها، وفى أثناء سنوات زواجها الأولى.

وارتفعت صلوات الشكر كل يوم من قلبها، فملأت بيتها فرحاً وشجعت كل أسرتها للنمو فى العلاقة مع الله.

بعد حوالى خمس سنوات، انتقل زوجها أثر حادث أليم، فتأثرت جداً، ولكنها شعرت بيد الله تسندها فى أعمال زوجها الكثيرة ومسئوليتها فى تربية الأبناء، وصلّت وطلبت معونته لفهم وإدارة أعمال زوجها؛ وحينئذٍ أرسل لها من يرشدها وأيضاً فتح ذهنها لفهم أمورٌ كثيرة.

خلال سنوات قليلة استطاعت أن تدير أعمالها بمهارة، وتقدم أبناؤها بنجاح فى دراستهم حتى أكملوها، وبدأوا فى مساعدتها فى إدارة الأعمال؛ والجميع يشعرون بالمسيح الساكن داخل بيتهم وأعمالهم، يسندهم ويطمأنهم ويفرحهم فى كل خطواتهم، وصار الكل من خدام الكنيسة المحبين الباذلين.

الفصل الرابع

المسيح وسط خدمتى

أرسل المسيح تلاميذه ليكرزوا فى بلاد اليهودية، وكانوا يشعرون أنه معهم، فيسيرون بإرشاداته ويرجعون إليه ويقصون له ما حدث معهم. وبعد حلول الروح القدس، كان يعمل فيهم بروحه القدوس، فانطلقوا كارزين فى كل مكان فى العالم. كانوا يشعرون أنه وسطهم دائماً، فعندما اجتمعوا عام ٥٠م فى مجمع أورشليم لبحث قبول الأمم فى الإيمان قالوا: «قد رأى الروح القدس ونحن ....» (أع ١٥ : ٢٨).

إن المسيح لا يشاركك فقط حياتك اليومية وأفراحك، بل يتمنى أن يعمل فيك خدمته، لأنه يحب العطاء إذ قال: «مغبوط هو العطاء أكثر من الأخذ» (أع ٢٠ : ٣٥)، فعندما تعطى، تجد يد المسيح تعمل معك وفيك، فتقول له: «من يدك أعطيناك» (١أى ٢٩ : ١٤).

وإذ تطلب معونة الله، يفتح قلبك بالحب لخدمته، فتتمنى أن

تقدم له شيئاً وحينئذٍ يعمل فيك، فتظهر محبته لمن حولك ويروا الله فيك؛ ومن ناحية أخرى تشعر بالله العامل فيك وتختبره، فتتذوق إحساساً جديداً بعشرة الله كما قال بولس الرسول عن نفسه هو وأبلوس: «نحن عاملان مع الله» (١كو ٣: ٩)، وتراه أيضاً فى وجوه من تخدمهم وأعمالهم فتتعلم منهم.

إن خدمتك لمن حولك تشعرك بعضويتك للكنيسة، وبالتالى إرتباطك برأس الجسد وهو المسيح الذى يعمل فيك وفيهم، فتشعر بالطمأنينة والقوة وتتقدم بنشاط لأعمال وخدمات كثيرة.

وعندما تقوم بأى خدمة، تشعر أنك تقدمها لله، فلا تتعلق بمديح الناس ولا تنزعج من عدم تقديرهم، وتثق أن ضعفك لا يعطل خدمتك لأن الله يكمل كل نقصك، فتنجح خدمتك وتؤثر فى الآخرين.

عندما تقابلك المعطلات لا توقف خدمتك، بل ثابر فى صلواتك ومحاولاتك، لأن الله قادر أن يذلل كل الصعوبات حتى ولو بعد سنوات كثيرة؛ فتختبر علاقة عميقة مع الله من خلال الصلوات والمطانيات والدموع، تشعر فيها بقرب الله منك جداً بل ويعطيك علامات تثبتك فى جهادك وخدمتك.

وعلى قدر اتضاعك واحتمالك الإساءات والإهانات، يتجلى الله فى خدمتك ويشبعك بمحبته، فإذ تحمل الصليب وراءه، تتمتع برؤية وجهه المنير المكلل بالشوك لأجلك.

إن الخدمة هى طريق الحب الكامل، حيث تبذل حياتك لأجل من بذل حياته لأجلك، فتلتصق بل تتحد به خلال خدمته، فتلبس الرب يسوع ويصير هو حياتك، وتختبر نوره العامل فيك، فتصير نوراً للعالم بهدوء وتلقائية.

كان هذا الطفل من الأطفال المتميزين فى مدارس الأحد وإرتباطه بالكنيسة والقداسات وحفظ الألحان، وكان أيضاً متفوقاً فى المدرسة.

مرت السنوات، والتلميذ فى تفوقه الدراسى والروحى حتى التحق بكلية التجارة. وبعد حوالى عام أصيب فى حادث أفقده القدرة على المشى بكلتى رجليه.

كانت الصدمة صعبة جداً عليه وعلى من حوله، ولكن أرسل الله له خادمه فى مدارس الأحد، الذى أخذ يشجعه على مواجهة الموقف ومواصلة الحياة، واعداً إياه بمساعدة الله له أكثر من ذى قبل.

تشجع الشاب وإزدادت صلواته، حتى بدأ يشعر فى صلواته كأنه يرى الله أمامه، فاستطاع أن يكمل دراسته ويحصل على البكالوريوس، بمساعدة زملاء كانوا يحضرون له المحاضرات والكتب، بل وحصل أيضاً بمعاونة بعض الأحباء على عمل فى إحدى الشركات.

ولم يكن يعرف كيف سيذهب كل يوم إلى العمل، ولكن من أجل صلواته الدامعة أمام الله، وجد زميلاً مسيحياً يسكن بجواره يعمل فى هذه الشركة، وطمأنه أنه سيصطحبه فى سيارته كل يوم.

أما فى الكنيسة، فقد شجعه خادمه على مواصلة حضور القداسات والاجتماعات، وكان يتحرك بكرسيه الخاص ذى العجل من بيته إلى الكنيسة القريبة منه.

شجعه أيضاً خادمه على الالتحاق بالخدمة، فصار خادماً لأحد فصول الأطفال. كان فى البداية يهاب الموقف نتيجة عجزه، ولكنه أطاع خادمه وصلى كثيراً، فأعطاه الله نعمة إلقاء الدرس بطريقة شيقة جذبت إليه كل الأطفال.

تشجع فى خدمته حتى صار محبوب الأطفال كلها، يحضر

معهم مدارس الأحد وأيضاً النادى وكل الأنشطة، ويحاول أن يشاركهم ولو جزئياً فى بعض ألعابهم.

كان حماسه للخدمة ينسيه عجزه، فيتكلم بحيوية وحب مع الكل، والبشاشة دائماً تعلو وجهه، بل من كثرة حماسه، تحرك فى الشوارع القريبة منه بكرسيه الخاص ليفتقد بعض الأطفال الذين لا يحضرون، فيرسل لهم البواب ليستدعيهم وينزلوا إليه ويسأل عنهم.

كان شعلة نشاط، ظهر واضحاً وسط إخوته الخدام، وتدرج فى الخدمة حتى وصل إلى خدمة الشباب، فنجح فى إلقاء الكلمات المؤثرة، وإقامة الحوارات المقنعة التى جذبت الشباب إليه.

تميز فى خدمته الفردية وخاصة مع الشباب الذى يعانى من المشاكل ويُحارَب بالشك واليأس، فكانوا يشعرون بمشاركته لهم إحساسهم بالعجز، ويرون فيه قوة للتغلب على كل معطلات حياتهم، فنجح فى تغيير حياة الكثيرين الساقطين فى خطايا ومشاكل ويأس، بل تحويل بعضهم إلى خدام فى الكنيسة.

كان الجميع يشعرون فى ابتسامته المتميزة وكلامه الروحى العميق أنهم يرون فيه المسيح الجالس وسطهم، فيتشجعون للتقدم فى حياتهم الروحية.

سألوه فى إحدى المرات، «كيف استطعت أن تكون فى هذا الحماس والقوة رغم عجزك؟!» فأعلن بصراحة أن القوة ليست منه بل من الله، لأنه فى كل صلاة أو خدمة كان يشعر بالله أمامه يسنده ويقويه، فينسى عجزه ويسعى نحو قلوب الكل ليرفعهم من أتعابهم.

سألوه أكثر من هذا: «ألا تصلى حتى يشفيك الله؟» فأجاب: «إن الشفاء نعمة عظيمة من الله، ولكننى أخشى إن شفيت أن أفقد اختبارى المستمر لله وكل النعم التى أتمتع بها».

أما كهنة الكنيسة الثلاثة، فكانوا يشعرون أنه أحق منهم بالكهنوت لولا عجزه. ولكن رغم وجود هذا العجز، شعروا أنه الأب الروحى الأكبر للكنيسة كلها، الذى يستطيع أن يحتضن الكل ويشعرهم بوجود المسيح معهم.